



مفارقة في المشهد.. على الحدود اللبنانية والسورية مع إسرائيل في رأس مارون والجولان حافلات تنقل شباناً فلسطينيين محتجين في الذكرى الـ63 للنكبة ليعاولوا اجتياز الحدود، وتحت معركة يسقط فيها قتلى وجرحى على الحدود الهادئة منذ 37 عاماً التي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها إلا بإذن السلطات، فما بال سكان يقيمون في مخيمات بدمشق أو في مخيمات بعيدة عن الجنوب اللبناني الواقع تحت سيطرة حزب الله حليف «البعث».

وعلى الحدود السورية – اللبنانية سكان بلدة تلكلخ السوريون يهربون إلى الأراضي اللبنانية من الحملة القاسية التي تشنها منذ 8 أسابيع القوات السورية على المعارضين المصريين على المطالبة بالحرريات، وسط تقارير عن اشتباكات بالسلاح بين جنود سوريين منشقين رفضوا إطلاق النار وآخرين في البلدة الحدودية.

مشهد عبثي تظهر فيه حالة نموذجية لسياسات عربية قديمة جديدة؛ هي الهروب إلى الأمام في مواجهة الأزمات الداخلية لإلهاء الناس حتى ولو تسبب ذلك في إشعال حرب خسارتها مضمونة، فالملهم المحافظة على السلطة والكرسي ولينذهب الباقى إلى الجحيم؛ ف«إما أنا أو الخراب».. قالها سيف الإسلام القذافي في ليبا حينما خاطب الليبيين قائلاً: انسوا النفط، وانسوا الاستقرار، واستعدوا للحرب الأهلية، ونراها الآن في سوريا حينما قال رامي مخلوف، أحد أعمدة النظام: «لا استقرار لإسرائيل طالما لا استقرار في سوريا»، والاستقرار في مفهومه يعني بقاء النظام.

لقد خرجت مظاهرات في الأراضي الفلسطينية في ذكرى النكبة، وهو تاريخ مؤلم للفلسطينيين من حقهم أن يبلغوا فيه العالم غضبهم من المراوغة والإهمال الدولي لقضيتهم التي لا تجد حلّاً منذ عقود طويلة، وجاءت مظاهرات هذا العام مختلفة، فالشبان متهمون بما حصل في دول عربية مجاورة لهم من تغييرات أحدثتها ثورات شعبية، وكان رد الفعل الإسرائيلي مفرطاً في استخدام القوة، والموقف الفلسطيني الرسمي مسؤولاً على جانبيه سواء من السلطة في الضفة أو حماس في غزة التي سعت شرطتها إلى منع المتهمين من عبور الحواجز؛ فالسلطة المسئولة لا تسمح بإراقة دماء شعبها بأفعال متهدورة أو دون ثمن لمجرد الحصول على دعاية إعلامية.

الموقف في سوريا ولبنان مختلف؛ فالتحرك من المخيمات بحافلات بإذن، وهي أصلاً مخيمات مسيطر عليها من فصائل

تعودت على تجิير القضية الفلسطينية لصالح آخرين، وهو أشبه بشوشرة لتشتيت الانتباه واستغلال قضية عادلة للتفريط على أزمة داخلية، فنحن أمام حالة غضب داخلية دخلت أسبوعها التاسع، وأثبتت منظموها، أياً تكون هويتهم، أن لديهم تصميماً عالياً، رغم أنهم لم يجدوا من يقف معهم مثلما حدث في مصر وتونس حينما رفض الجيش إطلاق النار على الناس ووقف معهم. في المقابل، أدى اللجوء إلى الخيار الأمني في مواجهتها إلى رفع السقف من مطالب بسيطة تتلخص في الحرية والكرامة والعدالة، إلى تغيير كامل النظام، ولم ينجح استخدام القوة المفرط في إسكات الناس؛ بل على العكس، أزال الخوف من قلوبهم.

وخلال الأسابيع الثمانية الماضية، استخدم الكثير من الأوراق في مواجهة الانتفاضة الشعبية السورية.. الوعود السياسية، مع إطلاق الرصاص واقتحام المدن بالدبابات والاعتقالات الواسعة والحصار الإعلامي الذي نجح المنتفضون إلى حد ما في اخترافه، ويبدو أن بين الأوراق أو الكروت الأخيرة التلويع بإشعال حرب، وهذه هي الرسالة التي جرى توصيلها إلى الإسرائيлиين أول من أمس عبر الحدود السورية ولبنانية ليمارسوا ضغوطهم على الإدارة الأمريكية قبل خطاب أوباما الخميس المقبل حتى لا تصل إلى نقطة المطالبة بتغيير النظام، أي إنها رسالة مفادها: تحركوا مع واشنطن وأنقذونا.

المصادر: